HITEC ISLAMICUS
Vol- 1 Issue-1
ISSN- 2521-0777

Scientific Interpretation in al-Razi's "Mafaatih al-Ghayb" (Critical Study)
التفسير العلمي في تفسير "مفاتيح الغيب" للرازي (دراسة نقدية)

Ayaz Akhter

Ph.D. Research Scholar, Institute of Islamic Studies & Sharia, MY University, Islamabad, Pakistan

Absteact

The interpretation of "Al-Mafaatih al-Ghayb" by Imam al-Razi is one of the major works in the field of Quranic exegesis. This interpretation is considered one of Imam al-Razi's most prominent works, where he delves into the explanation of the majority of the verses of the Quran. Some key aspects of his interpretation include Rational and Philosophical Approach: Imam al-Razi's interpretation reflects the use of a rational and philosophical methodology in understanding the Quran. He explores the concepts of language, science, and history to grasp the Quranic meanings. Al-Razi deals with the texts in a logical manner, utilizing reason and logic in interpreting the meanings of the verses. Linguistic and Rhetorical Interpretation: Al-Razi places significant emphasis on linguistic and rhetorical interpretation of Quranic words and expressions. He analyzes the linguistic structure of the texts and interprets vocabulary and sentence structures in depth.Science and Prophetic Tradition: Al-Razi relies on scientific sources in his interpretation and focuses on explaining the Quran based on the scientific knowledge available in his time. Additionally, he considers Prophetic traditions as important sources for interpreting the Quran. Rejection of Esoteric Interpretation: Imam al-Razi opposes some interpretations that lean towards esoteric or hidden meanings of the Quran. He emphasizes the importance of understanding the texts with a clear methodology and avoiding ambiguous interpretations.Critical Analysis: Imam al-Razi engages in critical analysis of certain opinions and ideas presented by other interpreters and philosophers. He provides critiques based on logic and reason.A critical study is needed to review the main concepts and ideas of this interpretation and evaluate the appropriateness and strength of its use of rational, scientific, and linguistic methods.
Keywords- Scientific Interpretation in al-Razi's "Mafaatih al-Ghayb

القرآن الكريم منزه عن الاختلاف والتناقض، في لفظه، وفي معناه، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي نراه في تفاسير القرآن الكريم من الأقوال الموضوعة والضعيفة فهي إما من الإسرائيليات الدخيلة التي ذكرها المفسرون في كتب التفسير جمعا للأقوال المنقولة في الباب أو إعراضا عن القواعد التفسيرية، وتوجد معظم هذه الأقوال في توضيح القصص القرآنية، وبيان الأخبار الغيبية، وفي باب الترغيب والترهيب كما توجد الأقوال القديمة في بحث التفسير العلمي تأثير كبير في المعاني اللغوية للكلمات القرآنية، وهناك عدد كبير من الأقوال الدخيلة في الترغيب والترهيب، وأسباب النزول، وفضائل السور والآيات.

سنتناول في هذا البحث المتواضع جانبا من هذه المباحث الدخيلة في **"مفاتيح الغيب"** المشهور بالتفسير الكبير **للإمام فخر الدين الرازي**؛ ليصير تطبيقا لما درسنا في مادة الدخيل في التفسير مع **أستاذنا الكريم الدكتور/ فضل الهادي وزين حفظه الله ورعاه**. نسئل الله التوفيق والسداد.

نقدم قبل الشروع في الموضوع التعريف المختصر عن الإمام الرازي وتفسيره.

1. التعريف بالمفسر [الإمام الرازي]:

أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الطبرستاني كان عالمًا رائدًا في العلوم الإسلامية، وتأثيره الكبير ظاهر في مجموعة واسعة من المجالات. قدم الكثير في مجالي التفسير والكلام، وترك بصمته العلمية في العديد من فروع العلوم الإسلامية.

تفسيره الكبير المعروف بـ "مفاتيح الغيب" يبرز عمق فهمه للقرآن الكريم وقدرته على تفسيره بطريقة مميزة. وتصانيفه في مجالات الكلام، أصول الفقه، والحكمة تعكس تنوع اهتماماته العلمية واستمراره في تقديم مساهمات قيمة.

وفاته في يوم عيد الفطر سنة 606 هـ تعكس أهمية وتأثيره الكبير الذي استمر على مر الزمن بين العلماء والطلاب. إرثه العلمي الذي تركه لا يزال حاضرًا، ومصنفاته تعتبر مرجعًا هامًا للدارسين في العلوم الإسلامية، مما يبرهن على إسهاماته الفاعلة في تطوير المعرفة الإسلامية..[1]

2. التعريف بالتفسير [مفاتيح الغيب].

تفسير "مفاتيح الغيب" لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الطبرستاني يعد عملاً هامًا وشاملاً في ميدان علوم القرآن. بوجود اثنين وثلاثين مجلدًا، يظهر أنه قام بجهد كبير واهتمام عظيم في تفسير القرآن الكريم حتى سورة الأنبياء.

من خلال تقديم الدلائل العقلية والرد على الشبهات، أظهر التفسير التفرد في الطرح والمنهج. ورغم أن الجواب على الشبهات قد يكون مختصرًا بعد فصل الشبهة، إلا أن هذا لا يقلل من أهمية وثراء المعلومات التي يقدمها.

تظهر الآراء المتناقضة بين العلماء حول أسلوب التعامل مع الشبهات الدينية، وهو أمر شائع في العلوم الإسلامية حيث يختلف العلماء في وجهات نظرهم وأسلوبهم في التفسير والرد على التحديات.

إن توجيه التقييم والنقد لهذا التفسير يظهر أهمية الحوار والتفاعل في مجال علوم القرآن، حيث يسعى العلماء إلى تطوير وتحسين فهمنا لكتاب الله.[2]

ويذكر المناسبات بين السور وبين الآيات والمقاطع، ويتحدث عن المسائل الرياضية، والفلكية، والكلامية، ويعتمد في كثير من المواضع على أقوال الفلاسفة والحكماء، مع ذلك يخالف أقوالهم أحيانا ويناقش معهم المسائل. ويرد على عقائد المعتزلة بالكثرة أثناء تفسيره. ويبسط في ذكر المسائل الفقهية وأدلتها، ثم يناقشها ويرجح مذهبه الشافعي، ويتكلم عن المسائل النحوية والبلاغية بالاختصار.[3]

تفسير أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الطبرستاني "مفاتيح الغيب" يظهر وضوحًا في موقفه من الإسرائيليات والموضوعات في تفسيره. إن تقليله في إيراد الإسرائيليات يعكس موقفًا حذرًا تجاه الروايات الواردة عن اليهود والنصارى، وقد انتقد الذين يفصلون في القصص الإسرائيلية.

على سبيل المثال، في تفسير قوله تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى"[4]، ينقل الرازي مواقف مختلفة. ينتقد بعض المفسرين البدع في التفاسير، مثل فصل الشبهات بطريقة لا تتوافق مع مقاصدهم الأصلية.

يظهر أيضًا تفاعل الرازي مع أقوال أصحابه والمفسرين الآخرين. يشير إلى رأي سفيان بن عيينة حول معنى "فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى"، ويعارضه بالاستناد إلى روايات أبي عمرو بن العلاء، مما يظهر التنوع في وجهات النظر بين المفسرين.

يبدو أن تفسير الرازي يسعى إلى الحفاظ على توازن بين العقلانية والنصوص الدينية، مع التأكيد على توجيهاته الخاصة واستقلاله في التفسير.

هذه النقطة التي ذكرتها تتعلق بتفسير الإمام الرازي ومواقفه العلمية. يتناول الإمام الرازي في تفسيره قضايا متنوعة بطرق مختلفة، ما بين التفسير اللغوي والتاريخي والعقلي. يظهر رفضه للقصص الوهمية والأقوال غير الصحيحة، ويسعى إلى توجيه التفسير نحو الفهم الصحيح والمنطقي.[5]الوجه الثاني الذي ذكرته يشير إلى استخدام الإمام الرازي لعلم الفلسفة والكلام في بعض مواقفه العلمية. يبدو أنه اعتمد على هذه

العلوم في بعض الجوانب لفهم النصوص الدينية. تلك الاعتمادات قد تؤثر على تفسيره وتجعله يقترب أحيانًا من مفاهيم الفلسفة والكلام، مما قد يثير بعض التساؤلات أو الانتقادات.

إذا كنت ترغب في مناقشة محتوى "الدخيل في التفسير الرازي" أو استفسار حول جوانب محددة من تفسير الإمام الرازي، يمكنني مساعدتك بمزيد من المعلومات أو النصائح.

هذه النقطة تتعلق بموقف الإمام الرازي من قصص الإسرائيليات والتفسير العقلي لها. يبدو أن الإمام الرازي يعتنق وجهة نظر معينة في هذه القضية ويتناول القصص الإسرائيلية بنظرة نقدية، مستندًا إلى العقل والمنطق.

في هذا السياق، يورد الإمام الرازي شبهًا عقليًا على بعض القصص الإسرائيلية، معتبرًا أن الإعراض عن هذه القصص وعن المعلومات التي تتعارض مع النصوص والعقل واجب. يستخدم مثالًا حول كيف تمكن إبليس من وسوسة آدم عليه السلام، ويعرض وجهة نظر معينة حول هذا الحدث.

الإمام الرازي يوضح رأيه بشكل منطقي ويركز على الجوانب التي يراها مناسبة وتتفق مع العقل والمنطق. هذا يظهر الروح النقدية والفلسفية في منهجه، حيث يسعى إلى تحليل النصوص وفهمها بمنطق وعقلانية.[6]

3. تعريف بالدخيل وصلته بالنماذج التالية:

الدخيل لغة:

كلمة "دَخِيل" وأصلها من مادة "د، خ، ل"، وهي تأتي من باب فتح يفتح، أي "دَخَلَ" يدخلُ دُخُولاً. الدخيل يعني الدخول، ويُستخدم كنقيض لكلمة "الخروج". ويُشير إلى العيب والريبة. كما يُستخدم للتعبير عن الغش والخديعة.

وفي السياق القرآني، يُورد مثال على استخدام كلمة "دَخَلَ" في قوله تعالى: "وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ"، حيث يُفسر أن هذا يعني الغش والخديعة. يُشير الفراء إلى أنه يعني "دَغَلًا" وخَديعةً ومَكْرًا.

يُستخدم أيضًا مصطلح "دَخَل" للدلالة على التداخل والتدخل في شؤون الآخرين، كما في تعبير "رجل مدخول" إذا كان لديه تدخل في عقل أو حساب آخر. ويشير "رجل مدخول الحساب" إلى شخص يتدخل في شؤون الحساب. ويُستخدم أيضًا "فلان دَخِيل في بني فلان" للدلالة على شخص يتدخل في أمور الآخرين الذين ليسوا من قبيلته.

أخيرًا، يُشير النص إلى أن كلمة "دَخِيل" أُدخِلت في لغة العرب وليست منها، وهذا يعني أنها أُقِيمت واستُخدمت بشكل شائع في اللغة العربية.[7]

الدخيل اصطلاحا:

"دَخِيل التفسير" يعبر عن ما يُنقل من التفسير دون أن يكون مصدره موثقًا أو مؤكدًا، ولكن بتناقض مع شرط القبول أو مع رأي معيب. وفي سياق التعريف الذي ذكره الإمام الرازي، يُشير إلى ما نقله من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وكل ذلك يُعتبر "دَخِيل المأثور". كما يُشير إلى التفسير العلمي الذي يعتبر غير صحيح، وهذا يُصنف كـــ "دَخِيل الرأي"[8].

بمعنى آخر، "دَخِيل التفسير" يتناول الأقوال والروايات التي تُروج في سياق التفسير، ولكنها لا تتوافق مع المعايير العلمية أو تكون مُشكَّكًا في صحتها. يمكن أن يتضمن ذلك إسناداً ضعيفًا أو موضوعات لا تلتزم بالمنهج العلمي المعتمد في تفسير القرآن.

تصف هذه الفئة من التفاسير تلك الأقوال والروايات التي تنقلت بين الناس دون تحقق من صحتها، والتي تُستخدم أحيانًا لدعم وجهات نظر دينية أو عقائدية معينة، ولكنها غير معتمدة على أسس علمية قوية.

4. يترل المطر من السمآء لا من السحاب:

ذكر الإمام الرازي المسائل العلمية بالكثرة في تفسيره فحينما تمر على مثل هذه الآيات يبسط القول في تفسيرها فيخطأ لأن هذه النظريات العلمية تترقي وتتغير بمرور الزمن، وكما فعل مثل هذا طنطاوي جوهري صاحب تفسير الجواهر بل هو توغل في إيراد التفسيرات العلمية في تفسيره.

الإمام الرازي تحدث في تفسيره حول نزول المطر في سورة البقرة، حيث أشار إلى أن المطر يترل من السماء وليس من السحاب، وأكد أن الفائدة الثانية من كلمة "من السماء" تعني أن المطر يأتي من السماء وليس من الأرض أو السحاب.

وقد أوضح الإمام الرازي أن بعض الناس قد اعتقدوا أن المطر يحدث عندما ترتفع بخارات رطبة من الأرض إلى الهواء، ثم تتجمد هناك بسبب برودة الهواء، وبعد ذلك تتساقط مرة أخرى، وقد أبطل الإمام هذا الاعتقاد بالإشارة إلى أن القرآن يفيد بأن المطر يترل من السماء. على سبيل المثال، ذكر قوله تعالى: "وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا"[9] و "وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ".[10]".[11]

هكذا، يُظهر موقف الإمام الرازي في تفسيره أهمية فهم نزول المطر من السماء ودور الله في هذه العملية، وكيف يتم التأكيد على ذلك في القرآن الكريم.

الإمام الرازي يستعرض ويجيب على السؤال المتعلق بقوله تعالى: "وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء" حيث يبين أن هذا النص يظهر أن المطر يترل من السماء، ولكن يستعرض بعد ذلك بعض الجوانب العلمية والفلسفية لهذه القضية.

أولًا، يشير إلى أن المطر لا يترل مباشرة من السماء، بل يتولد من ارتفاع بخارات مائية من سطح الأرض إلى الطبقة الباردة من الهواء، حيث تتكاثف وتتجمع لتسقط بعد ذلك، وهو ما يفسره بأن المطر ينشأ من عملية التكاثف.[12]

يُقدم الإمام الرازي ثلاثة أسباب للتفسير الشرعي لهذا النص:

1. يقترح أن مصطلح "السماء" هنا يشمل السحاب، وبالتالي عندما يترل المطر من السحاب، يُعتبر كأنه نزل من السماء.
2. يشير إلى أن الأجزاء الرطبة من الأرض تتحرك نحو السماء لإثارة الأمطار، مما يجعل النزول يكون "من السماء".
3. يؤكد أن قول الله تعالى يعبر عن الحقيقة، ولكن يظهر أن المطر يترل من السماء إلى السحاب، ثم من السحاب إلى الأرض، مما يشير إلى أن المطر يمكن أن يترل جزئيًا أو كليًا من السماء والسحاب.

هذه الأفكار تظهر كيف يجمع الإمام الرازي بين التفسير الشرعي والملاحظات العلمية في تفسيره.[13]

الإمام الرازي يوضح في تفسيره كيف يمكن التوفيق بين النصوص الدينية والملاحظات العلمية حول نزول المطر. يشير الإمام الرازي إلى أنه إذا سُئل عن كيفية نزول المطر من السماء وكيف يمكن التفسير العلمي لهذه العملية، فإنه يقدم إجابة تتماشى مع المعرفة العلمية المتاحة في زمانه.

يشير إلى أن بعض الناس يقولون إن المطر يترل من السماء على الحقيقة، بينما يروج آخرون لفكرة أن الشمس تؤثر في الأرض مما يؤدي إلى خروج أبخرة تتصاعد، وعندما تلتقي هذه الأبخرة بالجو البارد، تتكاثف وتتجمع لتتشكل قطرات المطر.

هذا يظهر كيف يسعى الإمام الرازي إلى توجيه المفاهيم الدينية بما يتناسب مع التفسيرات العلمية المعروفة في عصره، محاولًا تحقيق توازن بين العلم والدين.

الإمام الرازي يوضح في تفسيره أنه يفضل تأويل النصوص القرآنية بما يتناسب مع المعرفة العلمية المتاحة. يشير إلى أن الله تعالى قادر على كل شيء، ولو أنه يمكنه إمساك الماء في السحاب، فإنه يمكنه أيضًا أن يترله من السماء، وهو الصادق في خبره.

يعارض الإمام الرازي القول الذي يقول بأن المطر يأتي من بحار الأرض، معتبرًا أن هذا القول يتنافى مع إمكانية قدرة الله وخلقه. يعتبر أن قبول هذا القول يقوض الإيمان بالله ويعتبره كفرًا، حيث يرى أنه يناقض الإمكانات الكاملة لله في خلق وتدبير الكون.

بهذا التفسير، يسعى الإمام الرازي إلى توفيق بين النصوص الدينية والمعرفة العلمية، ويؤكد على أهمية تفهم النصوص بطريقة تتسق مع العقل والعلم".[14]

5. الأرض ساكنة لا تتحرك بالاستقامة ولا بالاستدارة:

الإمام الرازي في تفسيره يناقش فكرة أن الله جعل الأرض فراشًا للإنسان،[15] ويعرض بعض الشروط التي تجعل هذا الوصف مناسبًا ومنطقيًا. يبدأ بذكر الشرط الأول، الذي يتعلق بثبات الأرض وعدم حركتها بشكل متواصل.

يُشير الإمام الرازي إلى أن شرطًا أساسيًا لكون الأرض فراشًا هو أن تكون ساكنة، حيث يقول إنه إذا كانت متحركة، فإن حركتها يمكن أن تكون إما بالاستقامة أو بالاستدارة. ويقول إنه إذا كانت حركتها بالاستقامة، فإنها لن تكون فراشًا للإنسان بشكل عام، لأن الإنسان إذا سقط من مكان مرتفع، فإنه لن يصل إلى الأرض بسبب الهاوية. وبذلك، يستخدم الإمام الرازي المنطق لتوضيح أن فراش الأرض يفترض أن تكون ساكنة لتكون ملائمة للإنسان.

الإمام الرازي يواصل تحليله لفكرة أن الأرض جعلها الله فراشًا للإنسان، ويستخدم المنطق لإظهار كيف يجب أن تكون حركة الأرض حتى تكون مناسبة كفراش.

يُشير الإمام الرازي إلى أن إذا كانت حركة الأرض بالاستقامة، فإنها ستكون أسرع من حركة الإنسان الذي يحاول الوصول إلى مكان معين. في هذه الحالة، يجب على الإنسان البقاء في مكانه، ولن يكون قادرًا على الوصول إلى الهدف المرغوب.

أما إذا كانت حركة الأرض بالاستدارة (الدوران)، فإنه يرى أن ذلك لن يكون مناسبًا للاستفادة من الأرض كفراش، لأن حركة الأرض ستكون أسرع، وبالتالي لا يمكن للإنسان الوصول بفعالية إلى المكان الذي يرغب فيه.

وبهذا يستنتج الإمام الرازي أن الأرض يجب أن تكون ساكنة، أي أن حركتها لا تكون إما بالاستقامة أو الاستدارة، بل تكون ساكنة لتكون ملائمة كفراش للإنسان.[16]

والثابت في العلم الحديث أن الأرض متحركة حول وسطها مستديرا، ومع ذلك يدور حول الشمس في مدار معين فهي متحركة بالاستدارة مرة حول مركزه وتدور حول الشمس، وثبت أن جميع الكائنات تتحرك إلى جانب لانهاية له بالاستقامة. وسبب خطأ الإمام في قوله بسكون الأرض عدم علمه بالقوة الجاذبة كما أثبتها العلم الحديث، وهي أن الأرض تجذب كل شيئ بقربها إلى وسطها، فكلما يزل الشيئ من علو إلى سفل أو يتحرك مع الأرض فوقه لا يتأثر ولايحس حركة الأرض؛ لقوة جاذبة إلى مركزها وقوة الجذب غالبة على حركاتها الأخري، فكأن الشيئ ملصق بالأرض بهذه القوة الجاذبة يتحرك مع حركتها. هذا ما قرأنا في كتب الطبيعيات أثناء الدراسة.

6. المراد من السموات الكواكب السبعة:

كان للإمام يد طولى في علم الهيئة وعلم الأفلاك فهو كالناقد البصير لا ينقل أقوال الفلكيين إلا ويتحدث عنها بالحرية إذا كان فيه مجال للنقاش، ولكن العلم عن الأفلاك كان قليل بالنسبة إلى العلم الحديث لعدم توفر الأسباب والوسائل فالإمام يخطئ كثيرا في بيان المعلومات عنها مثل العلماء الآخرين آنذاك، مثال ذلك ما قال عند تفسير قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[17]، إن المراد من الكواكب السبعة السموات السبع، وعد الشمس من الكواكب السبعة التي تدور حول الأرض، يقول:

المسألة الخامسة: الإمام الرازي يتحدث في هذا النص عن وجود سبع سموات ويذكر ترتيب الكواكب التي يقول أصحاب الهيئة إن أقربها إلينا هو القمر، ثم عطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل.

يشير إلى أنه لا يمكن معرفة هذا الترتيب إلا من خلال الستر (التحجب)، حيث يقول إن الكوكب الأسفل إذا مر بين أبصارنا وبين الكوكب الأعلى، يصبحان ككوكب واحد. ويشير إلى أن السبيل إلى معرفة الترتيب هو الستر.

يُذكر الإمام الرازي بأن بعض القدماء وجدوا القمر يكسف الكواكب الستة، وعطارد يكسف الزهرة، والزهرة تكسف المريخ، وهذا يشير إلى ترتيب معين بين هذه الكواكب.

ويعتبر الإمام الرازي بعض الأقوال حول رؤية الزهرة كشامة في صحيفة الشمس ضعيفًا، ويشير إلى أن اختلاف المنظر قابل للإحساس في القمر وعطارد والزهرة، لكن لا يُحس بذلك في المريخ والمشتري وزحل، وبناءً على ذلك، يرى أن الشمس يصعب تحديد مكانها بين

الكواكب.[18] ومع الإمام الرازي يشير في هذا النص إلى أن بعض الفلاسفة والعلماء القدماء يختلفون حول مكان الشمس بين الكواكب. يُذكر بأنه قد تم نقاش هذه القضية، ويشير إلى قول الفارابي الذي يعتبر موضع الشمس غير واضح بين الكواكب.

ومع ذلك، يتفق الإمام الرازي مع الأكثرية من العلماء الذين يرون أن الشمس تدور حول الأرض، ويستخدم مصطلح "مثل السيارات الأخرى" ليشير إلى الدوران الدائري للشمس حول الأرض، مما يعبر عن النظرة الجغرافية والفلكية السائدة في تلك الحقبة.

7. علماء الباطن وهم الحكماء قدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر.

الإمام الرازي يتحدث هنا عن العلماء الباطنيين والحكماء، ويميّزهم عن علماء الظاهر، حيث يرى أن علماء الباطن والحكماء يعلمون الأسرار والمعاني الغائبة التي لا يعلمها علماء الظاهر. يشير إلى أن هؤلاء العلماء يمتلكون معرفة بالأمور المخفية التي لا تصلح للاحتجاج بالدليل، ويربط ذلك بالقدرة على استنتاج الأخبار المجهولة والتي لا يمكن استدلالها بالطرق الظاهرية.

يقدم الإمام الرازي نموذجًا لهذا الفهم عبر تفسيره لسورة القرآنية حيث يشير إلى أن حروف مقطعة مثل "الم"[19] تحمل أسرارًا ومعانٍ غائبة على الناس، ويتناول بعض القضايا المرتبطة بالأسرار والأمور المحجوبة. كما يشير إلى أهمية الحكماء ومنزلتهم الرفيعة بسبب معرفتهم بتلك الأسرار والأمور الخفية.

الإمام الرازي يشير إلى أن السبب وراء عدم قدرة العقول الضعيفة على استيعاب الأسرار العميقة هو أنها لا تتحمل تلك الأحقاد القوية، مما يجعلها غير قادرة على فهم الأمور الخفية بشكل صحيح. يستخدم مثلاً للتوضيح قصة الخفافيش التي لا تحتمل نور الشمس وتعتمد على حاسة اللمس بدلاً من البصر.

يقول الإمام الرازي إن الأنبياء وعلماء الظاهر وعلماء الباطن يمتلكون قدرة أفضل على استيعاب الأسرار نظرًا لزيادة قوة عقولهم. يضيف أن الأنبياء بزيادة عقولهم تمكنوا من تحمل أسرار النبوة، وكذلك العلماء في مجالاتهم، بينما يمتلك علماء الباطن، الحكماء، القدرة على فهم ما لا يستطيع العامة من الفهم.

تظهر هذه الرؤية في تفسير الإمام الرازي حيث يبرز أهمية التمييز بين مستويات قوة العقل والقدرة على فهم الأمور العميقة والأسرار..[20]

8. تغليط القراءة المتواترة.

قال الإمام الرازي عند تفسيره لقوله جل وعلا: {ءأَنذَرْتَهُمْ}[21] إن في هذه الكلمة ست قراءات: إما بهمزتين محققتين بينهما ألف، أولا ألف بينهما، أو بأن تكون الهمزة الأولى قوية والثانية بين بين بينهما ألف، أولا ألف بينهما وبحذف حرف الاستفهام، وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرىء (قد أفلح) فإن قيل: فما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً ؟ قال صاحب الكشاف: هو لاحن خارج عن كلام العرب.[22]

بين الإمام الرازي في هذه الكلمة ست قرآءات، ولم يبين المتواترة من الشاذة؛ لأن قراءة حذف همزة الاستفهام، وحذفها مع إلقاء الحركة على ميم الساكنة قبلها قرآءتان شاذتان.[23]

وتبع الزمخشري في تلحين القرآءة المتواترة لورش. رد الزمخشري هذه القراءة المتواترة حينما غلطها من وجهين: أحدها: جمع الساكنين على غير حده، والشرط فيه أن تكون الحرف الأول مدة والثاني مشدد، والشق الثاني غير متحقق هنا، والوجه الثاني: إبدال الهمزة الثانية المفتوحة ألفا، والتخفيف في هذه الصورة عنده على تسهيل الثانية لا الإبدال.[24]

أجاب أبو حيان عن هذين الاعتراضين بطريقين: أولا: أن الجمع بين الساكنين على غير حده جائزة عند علماء الكوفة على الصورة المذكورة، ثانيا: أن قراءة ورش صحيحة ومتواترة النقل، والقاعدة أن النقل المتواتر لا تدفع بمذاهب النحاة واختياراتهم، يقول أبو حيان بعد نقل الرد: وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي ما أجازه البصريون. وقراءة ورش صحيحة النقل لا تدفع باختيار المذاهب ولكن عادة هذا الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ونقلة لقرآن.[25]

9. نقل الرواية الضعيفة في الكلام عن السحر.

الحديث الذي تذكره حول امرأة ادعت أنها ساحرة واستشارت عائشة رضي الله عنها يتحدث عن تجربة السحر التي خضعت لها هذه المرأة. قصتها تعبر عن الخطورة الكبيرة للتعامل مع السحر والطلب منه، والتأثير الضار الذي يمكن أن يكون له على الإنسان.

في النهاية، بعد أن رأت النتائج الضارة لفعلها، نصحها الذين قادوها إلى هذا السحر بالتوبة والترك، ولكنها استمرت في طلب السحر، وعندما رأوا أن إيمانها قد انحرف، أخبروها بأنها قد أحسنت في السحر. عائشة رضي الله عنها في النهاية قالت لها "ليس لك توبة"، وهذا يشير إلى أنها ذهبت إلى مستوى عميق من الضلال.

القصة تحمل فيها الإشارة إلى الخطورة الشديدة لممارسة السحر والابتعاد عن الله، وكيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى فقدان الإيمان وتدمير الحياة الروحية.[26]

الآلوسي يعتبر الخبر الذي تناوله في هذا المقام والذي يتحدث عن امرأة ادعت أنها ساحرة، وأجرت تجارب مع السحر كمحتوى غير قابل للتصديق والاعتماد. يُظهر رد الآلوسي عدم قبوله للرواية ووصفها بأنها من القصص التي يصعب الاعتماد عليها وأنه لا يجوز للعقل أن يقبل مثل هذه الحكايات.

ويعبر عن استغرابه من وجود مثل هذه الروايات في كتب الإسلام، مشيرًا إلى أن مثل هذه الخرافات لا يجب أن تتضمنها كتب الدين، ويعزو ذلك إلى نقص في التحقق والتحري من مصادر الحديث والروايات.

بشكل عام، يُظهر رد الآلوسي على هذه الرواية التحفظ والاحتياط في قبول القصص التي قد تظهر في بعض الكتب بدون التحقق من صحتها ومصداقيتها.[27]

10. رواية كعب في صفة الكعبة.

قد يكون هذا السرد الذي ذكره الإمام الرازي حول تاريخ الكعبة هو من القصص والأساطير التي كانت تُروى في بعض الثقافات والتقاليد، ولا يمت للتفسير القرآني بصورة مباشرة. الأمور المتعلقة بتاريخ الكعبة قد شهدت على الكثير من التأويلات والروايات التي لا يمكن التحقق منها بشكل دقيق.

يجب أخذ مثل هذه القصص بحذر، خاصة عند تكوين الفهم للأحداث التاريخية أو الدينية. يفضل الاعتماد على المصادر التاريخية والدينية الموثوقة والتي تمت المصادقة عليها من قبل العلماء المتخصصين.

في هذا السياق، يُفضل أن يكون التأويل والتفسير مستندًا إلى النصوص القرآنية والحديث النبوي، وعلى فهم العلماء المعتبرين في مجال علوم القرآن والتفسير.[28]

من رد الإمام الطبري يبرز النهج العلمي الذي يؤكده العلماء في التعامل مع هذه الأخبار والأحاديث التي لا تأتي بسند قوي ولا يمكن التحقق من صحتها. يشدد الإمام الطبري على ضرورة الاعتناء بالأحاديث التي تأتي بسند قوي والتي تكون متفقًا عليها بين مصنفي الحديث، كما يعتبر أن عدم وجود خبر صحيح يدل على هذه الأمور يستوجب التحفظ وعدم الخوض فيها بدون أساس قوي.

يشدد الإمام الطبري على أهمية الاعتماد على النقل المستفيض من الله ورسوله في مثل هذه الأمور، وأن الحقيقة الكاملة قد لا تُدرك إلا بهذا النقل. وفي حالة عدم وجود خبر يوجب التسليم له، يشير إلى أنه لا يستند إلى أسس استدلال قوية ولا يُعتبر مستنبطًا من المقاييس العلمية.

هذا النهج يعكس الحذر والتحفظ الذي يجب أن يكون حاضرًا عند التعامل مع المعلومات الدينية، خاصةً إذا لم يكن هناك دليل قوي يدعم صحتها..[29]

11. المراد من القصاص القرآن.

الإمام الرازي يذكر هنا أحدى الآراء المتعلقة بتفسير قول الله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [30]، ويُشير إلى أن بعض المفسرين يفسرون كلمة "القصاص" في هذا السياق بالقرآن. ويُقدمون هذا التفسير على أنهم يعتبرون القرآن مصدرًا للحياة الروحية والتقوى.

في هذا السياق، يشير الإمام الرازي إلى ضرورة فهم القرآن ومعانيه كوسيلة لتحقيق الحياة الروحية وتقوية القلوب. يستند إلى بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى أن القرآن هو روح من أمر الله، وهو مصدر للحياة والهداية.

الجملة "والله أعلم" تُستخدم غالبًا في النصوص الدينية للتأكيد على أن هذا التفسير هو ذهن إنساني وقد يكون قراءة محتملة، ولكن الله هو الأعلم بالحقيقة. [31]

مصادر و مراجع

1- انظر: شذرات الذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي 40/7، مط: دار المسيرة -لبنان – سنة الطبع 1399هـ 1979م، الأعلام قاموس التراجم لخير الدين الزركلي 313/6، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان، الطبعة السادسة عشر 2005م، والتفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 206/1، الناشر:مكتبه وهبه، القاهرة مصر، الطبعة السابعة، تاريخ الطبعة: 2000م.

2- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 511/1، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مع المشاركة في التحقيق: زكريا عبد المجيد النوتي، وأحمد النجولي الجمل، مط: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ-2001م.

3- انظر: التفسير والمفسرون 209/1-210.

4- سورة البقرة: 282.

5- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المتوفي 604هـ 100/7، الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر 1421هـ -2000م.

6- مفاتيح الغيب 3 / 15.

7- انظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي 239/11، مط: دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

8- الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة 40/1 مط: دار البيان، القاهرة مصر، 1404هـ_1984م.

9- سورة الفرقان: 48.

10- سورة النور: 43.

11- مفاتيح الغيب 2 / 72.

12- مفاتيح الغيب 2 / 102.

13- مفاتيح الغيب 4 / 178.

14- مفاتيح الغيب 4 / 179.

15- سورة البقرة: 22.

16- مفاتيح الغيب 94/2.

17- سورة البقرة: 29.

18- مفاتيح الغيب 2 / 144.

19- سورة البقرة: 1.

20- مفاتيح الغيب 2 /3-4.

21- سورة البقرة: 6.

22- مفاتيح الغيب 2 / 39.

23- انظر: معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف خطيب 36/1-37، الناشر دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م.

24- انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري 48/1، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، بدون تاريخ الطبع.

25 - البحر المحيط 175/1.

26- مفاتيح الغيب 3 / 194.

27- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفي 1270هـ1/343، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

28- مفاتيح الغيب 4 / 47.

29- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفي310 هـ 364/3، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

30- سورة البقرة: 179.

31- مفاتيح الغيب 49/5.